

حزب الله.. حرب مفتوحة ضد محور التوازن في سوريا ولبنان

2016-05-18 عيد الامير رويح

يعد حزب الله اللبناني من اهم المؤسسات السياسية والعسكرية والاجتماعية في لبنان، وله وجود قوي في البرلمان اللبناني ووزراء في الحكومة، فقد فرض نفسه بقوة على الساحة السياسية اللبنانية على مدى سنوات واكتسب شرعيته المحلية والإقليمية عن طريق المقاومة العسكرية للوجود الإسرائيلي خاصة بعد اجتياح بيروت عام 1982، وكلل الحزب عمله بإجبار الجيش الإسرائيلي على الانسحاب من جنوب لبنان في مايو/ أيار عام 2000 تحت ضغط عمليات المقاومة الإسلامية وهي الجناح العسكري للحزب. ثم جاء الاختبار الأكبر للحزب باندلاع الحرب بينه وبين إسرائيل في 12 يوليو/ تموز عام 2006 اثر اشتباكات عبر الحدود اختطف خلالها الحزب جنديين إسرائيليين وقتل آخرين.

وخلال الحرب التي دامت 34 يوما لم تتمكن إسرائيل من هزيمة الحزب وانتهت بوقف لإطلاق النار تحت رعاية الأمم المتحدة أصبح ساري المفعول في 14 أغسطس/ آب. ورفعت إسرائيل حصارها البحري عن لبنان في 8 سبتمبر/أيلول من العام ذاته. ويبدى الحزب اهتماما كبيرا بالقضية الفلسطينية ويعتبر إسرائيل كيانا غير مشروع ويعتبر الأراضي الفلسطينية كلها محتلة. كما يعد حزب الله أحد أكثر الكيانات اللبنانية تأييدا لسوريا. ويشارك في هذه الحرب حيث لعب دورا هاما في مساعدة الجيش السوري على مواجهة المسلحين، واسهم في تغيير موازين القوى في هذه الحرب التي تحولت لصالح الجيش والحكومة السورية، الامر الذي ازعج الكثير من الاطراف والدول الاقليمية، التي سعت ومن خلال دعم الجماعات الارهابية الى اسقاط حكومة الرئيس بشار الاسد، فقد سعت بعض الدول الخليجية بقيادة المملكة العربية السعودية الى الدخول في حربا مفتوحة ضد حزب الله، من خلال اتباع خطط واجراءات خاصة بهدف اضعاف هذا الحزب، فقد مارست السعودية ضغوطا كبيرة على العديد من البلدان العربية والغربية ، من اجل فرض رؤيتها الجديدة واجبار بعض الجهات على تبني مواقفها وقراراتها و إعلان حزب الله منظمة إرهابية، كما تصنف الولايات المتحدة الحزب كمنظمة إرهابية، وتتهمه بتفجير مقر القوات الأمريكية والفرنسية في بيروت في اكتوبر/ تشرين الأول عام 1983 الذي أسفر عن مقتل نحو 241 من جنود مشاة البحرية

الأمريكيين، وكان سببا رئيسيا لسحب الولايات المتحدة لقواتها من لبنان.

ويرى بعض المراقبين ان التحركات السعودية والاسرائيلية والامريكية، ربما ستؤثر على تحركات وخطط حزب الله خصوصا مع وجود اطراف داخلية مؤيده للتحركات السعودية، لكنها لن تضعف الحزب خصوصا فيما يتعلق بالحرب السورية والتي يعتبرها الحزب معركة وجودية ومصيرية، حيث سيسعى الى اتخاذ خطط مضادة قد تغير الكثير من النتائج والتوقعات، خصوصا وان لهذا الحزب تجارب سياسية وعسكرية مهمة، قد يفتقر لها الجانب السعودي بقياداته الجديدة والمتحمسة.

حزب الله وسوريا

وفي ما يخص بعض التطورات في هذا الملف فقد اعلن حسن نصر الله الامين العام لحزب الله اللبناني ان الحزب سيستمر في خوض المعركة الى جانب النظام السوري حتى هزيمة مسلحي "داعش" و"النصرة" في سوريا. وقال في مقابلة مع "قناة الميادين" التي تتخذ من بيروت مقرا، "ذهبنا الى سوريا لنساهم في منع سقوط سوريا في ايدي داعش والنصرة (..) طالما المسؤولية تتطلب منا ان نكون، نحن سنكون هناك، وسنبقى هناك".

وقال نصر الله ان "كل ما يقال عن خروجنا او انسحابنا من سوريا في الظروف الحالية هو غير صحيح، طالما ان الهدف يحتاجنا سنكون حيث يجب ان نكون". و اضاف "سواء انسحب الروس او بقي الروس (..) انسحب الايرانيون او بقي الايرانيون ، نحن حزب الله (...). مصيرنا ومصير اخوتنا السوريين واحد لا يمكن تفكيكه". وكان حزب الله ارسل آلاف المقاتلين منذ 2013 دعما لقوات النظام السوري في مواجهة مسلحي التنظيمات المعارضة والاسلامية المتطرفة، معتبرا انه يخوض حربا وقائية لابعاد تهديد التطرف الاسلامي عن لبنان.

وقال نصر الله في هذا السياق "اذا سقطت سوريا في ايدي داعش والنصرة، ستذهب سوريا، ويذهب لبنان". و اضاف "نحن معنيون ان نبقي الى حين يتحقق هذا الهدف (هزيمة الجهاديين) اما بانسحاب الجماعات التكفيرية او بتسوية سياسية". و اعلن نصر الله "نحن قادرون على ارسال قوات اكثر الى سوريا، لكن نحن لا نتعاطى بذهنية (...) الحسم العسكري (بل) نريد حلا سياسيا، ونريد حقن

الدماء". وحزب الله الذي يقوم بدور مهم الى جانب الجيش السوري، يشكل بعبع المعارضة السورية المسلحة وراعيها المملكة السعودية.

كما اتهم حزب الله اللبناني المملكة العربية السعودية وتركيا بعرقلة جهود التوصل إلى حل سياسي في سوريا قائلا إن الرياض لا تريد أن ترى أي تقدم في مفاوضات السلام التي تهدف إلى إنهاء الصراع. وقال حسن نصر الله "أقول بكل صراحة الآن الذي يعطل أي تقدم في الحل السياسي هي السعودية بالدرجة الأولى وقد تأتي تركيا بالدرجة الثانية."

وقال نصر الله إن النظام "السعودي لا يريد أن تتقدم المفاوضات في جنيف ولا أن تنطلق العملية السياسية في سوريا... لعل النظام السعودي يراهن على تحول ما في الانتخابات الأمريكية عندما تأتي إدارة جديدة." وأضاف "أنا لا أتوقع تقدما في العملية السياسية ولا في الحل السياسي." وتأتي انتقادات نصر الله بعد قرار مجلس التعاون الخليجي الذي يضم السعودية والإمارات والبحرين والكويت وسلطنة عمان وقطر إعلان حزب الله منظمة إرهابية.

وقالت السعودية إنها ستعاقب أي شخص ينتمي إلى حزب الله أو يتعاطف معه أو يدعمه ماليا أو يأوي أي من أعضائه. وكانت بعض دول مجلس التعاون الخليجي أمرت بترحيل مواطنين لبنانيين للاشتباه في علاقتهم بحزب الله. وقالت صحيفة كويتية إن الإمارات طردت 11 لبنانيا وثلاثة عراقيين. لكن نصر الله قال "نحن تمنينا على الجميع علنا وبغير العفن أن لا تحملوا الناس مسؤولية وأنا على التلفزيون أقول إن المشكل معنا ابقوا مشكلتكم معنا وماذا تريدون من الناس."

ونقل نصر الله عن بعض وسائل الإعلام أن هناك "مجموعة اعتقلت في الكويت تهرب المخدرات وهؤلاء ينتمون إلى حزب الله ويتصلون بأفراد من حزب الله في سوريا. هذا كلام فارغ." وأضاف "مثلا أن هناك خلية حزب الله تحاكم في الإمارات العربية المتحدة. والله لا نعرف أحد منهم." كما نفى نصر الله إرسال أي من المقاتلين أو السلاح إلى البحرين. لكن نصر الله قال إن هذه الاتهامات إما بدون أساس أو "لا نعرف أحد منهم." بحسب رويترز.

وحذر نصر الله إسرائيل من محاولة استغلال نشر حزب الله قواته في سوريا لإطلاق عمل عسكري

في لبنان لكنه استبعد حدوث صراع كبير مع إسرائيل بسبب كلفتها الباهظة جدا. وقال نصر الله "أي حرب على لبنان تستهدف لبنان شعب لبنان بنيته التحتية نحن سنخوض هذه الحرب بلا سقف وبلا حدود وبلا خطوط حمراء... الكلفة هي أكبر بكثير من أي نتيجة يمكن أن يحققها (الإسرائيليون)". وأضاف "نستطيع أن نضرب أي هدف نريده في أي مكان في فلسطين المحتلة ولدينا قائمة كاملة من الأهداف في فلسطين المحتلة بما فيها المفاعلات النووية ومراكز الأبحاث البيولوجية."

عقوبات امريكية

من جانب اخر اعلن حزب الله اللبناني رفضه تطبيق القانون الاميركي الذي يفرض عقوبات على المصارف التي تتعامل معه، متهما حاكم المصرف المركزي رياض سلامة "بالانصياع" لطلبات واشنطن، على خلفية تعميم اصداره بوجوب التقييد باحكام هذا القانون. وقال حزب الله في بيان ان "القانون الاميركي الذي صدر أخيرا وتلتزم المصارف اللبنانية العمل بموجب أحكامه، هو قانون مرفوض جملة وتفصيلا لأنه يؤسس لحرب إلغاء محلية يسهم في تأجيجها المصرف المركزي وعدد من المصارف".

واقر الكونغرس الاميركي في 17 كانون الاول/ديسمبر قانونا يفرض عقوبات على المصارف التي تتعامل مع حزب الله الذي تعتبره واشنطن منذ العام 1995 "منظمة ارهابية" او تقوم بتبييض اموال لمصلحته. وطلب من الادارة الاميركية تقديم تقارير عن نشاط الحزب في "تهريب المخدرات والجريمة العابرة للحدود وعمليات مجموعات دولية مرتبطة بحزب الله" خصوصا في اميركا اللاتينية وافريقيا جنوب الصحراء وآسيا، بحسب نص القانون.

واصدر سلامة تعميما في 3 ايار/مايو يدعو المصارف والمؤسسات المالية و"سائر المؤسسات الخاضعة لرقابة مصرف لبنان" الى ان "تقوم على كامل مسؤوليتها بتنفيذ عملياتها بما يتناسب مع مضمون القانون الاميركي". والزم هذه المؤسسات "بإبلاغ هيئة التحقيق الخاصة فورا بالاجراءات والتدابير التي قد تتخذها.. لا سيما لجهة تجميد او اقفال اي حساب عائد لاحد عملائها او الامتناع عن التعامل او عن فتح اي حساب له وتوضيح الاسباب الموجبة التي تبرر اتخاذ هذه الاجراءات

والتدابير" على ان يعمل بالقرار "فور صدوره".

واعتبر حزب الله في بيانه ان "التعاميم التي أصدرها أخيرا حاكم المصرف المركزي (...). انصاع غير مبرر لسلطات الانتداب الاميركي النقدي على بلادنا، ومن شأنها أن تزيد تفاقم الأزمة النقدية وتدفع البلاد نحو الافلاس بسبب ما سينتج من قطيعة واسعة بين اللبنانيين والمصارف". وافاد بان من شان ذلك ان "يعرض البلاد لانهيال نقدي خطير وفوضى عارمة غير قابلة للإحتواء"، ودعا سلامة الى "اعادة النظر في تعاميمه الأخيرة" مطالبا الحكومة "بإتخاذ الاجراءات المناسبة لتلافي (...). التداعيات الخطرة التي ستنتج عنها". بحسب فرانس برس.

وذكرت المؤسسة اللبنانية للارسال التلفزيونية الخميس ان مصرفين اوقفا حسابين لنائبين حاليين في كتلة حزب الله وحسابا ثالثا لابنة نائب سابق في الحزب. واعرب رئيس جمعية المصارف في لبنان جوزف طريه تاييده في وقت سابق تعميم مصرف لبنان قائلا "نؤيد هذا التعميم ونقول إن من واجب السلطات النقدية أن تصدره وتطبقه على المصارف". وتتهم وزارة الخارجية الاميركية حزب الله بدعم نظام الرئيس بشار الاسد في سوريا. وادرجت واشنطن حزب الله منذ العام 1995 على لائحة "المنظمات الارهابية" وتتهمه بلائحة طويلة من الهجمات من بينها السفارة الاميركية ومقر قيادة مشاة البحرية (المارينز) في لبنان في 1983.

حرب اعلامية

من جانب اخر أوقفت الشركة المصرية للأقمار الاصطناعية "نايل سات" بث قناة "المنار" التابعة لحزب الله اللبناني، بحجة بثه برامج "تثير النعرات الطائفية"، بحسب ما ذكرت "الوكالة الوطنية للإعلام". ذكرت "الوكالة الوطنية للإعلام" اللبنانية أن إدارة "نايل سات" أبلغت وزارة الاتصالات بضرورة وقف بث قناة "المنار" عبر أثير "نايل سات". وتابعت أن "إدارة -نايل سات- عزت سبب طلب توقيف القناة مخالفتها للاتفاق الموقع معها وبث برامج تثير النعرات الطائفية والفتن".

وتأتي هذه الخطوة على خلفية توتر بين السعودية من جهة وحزب الله المدعوم من إيران .

وغردت "المنار" على "تويتر" أن بثها مستمر على قمر روسي وعلى الإنترنت. وفي آذار/مارس، أعلن وزراء الخارجية العرب خلال اجتماع لهم في مقر الجامعة العربية في القاهرة تصنيف حزب الله اللبناني "إرهابيا"، وذلك بعد وقت قصير على صدور قرار مماثل عن مجلس التعاون الخليجي. وأتبع هذا الموقف بطلب دول خليجية من رعاياها مغادرة لبنان وعدم زيارته. وتحمل السعودية حزب الله مسؤولية "مصادرة" القرار اللبناني، وامتناع لبنان عن دعم الموقف السعودي في محافل عربية وإسلامية ضد إيران.

وأوقفت السعودية أخيرا مساعدات عسكرية للبنان ردا على هذه المواقف المناهضة لها. كما تأخذ دول الخليج على الحزب، الذي يتمتع بنفوذ واسع في السياسة اللبنانية ويمتلك ترسانة عسكرية ضخمة، قتاله إلى جانب النظام السوري. ويتهمه بعضها بالوقوف خلف مجموعات "إرهابية" في دول خليجية. يذكر أن إدارة "نايل سات" سبق لها أن أوقفت في شهر سبتمبر/أيلول من عام 2012 بث القنوات الرسمية السورية تنفيذا لتوصية من اللجنة الوزارية العربية المعنية بسوريا. وكانت اللجنة الوزارية العربية أوصت في تموز/يوليو 2012 بوقف بث القنوات الرسمية السورية على نايل سات. بحسب فرانس برس.

واعتبرت وزارة الإعلام في دمشق حينها، في بيان نشرته وكالة الأنباء السورية الرسمية (سانا)، أن الخطوة تأتي "في إطار الحملة التي تستهدف سوريا"، متهمة الشركة المشغلة باتخاذ "إجراء أحادي يخالف شروط العقد المبرم (...). وينتهك موثيق الشرف الإعلامي ويتعرض بشكل غير مبرر لأصول ومبادئ العمل الإعلامي".

من جانب آخر قضت المحكمة الاتحادية العليا في الإمارات بسجن ثلاثة لبنانيين ستة أشهر والإبعاد، بعد انقضاء العقوبة، بتهمة تشكيل مجموعة تابعة لحزب الله اللبناني تقوم بأعمال سياسية واقتصادية من دون ترخيص، بحسب وسائل إعلام محلية. وأوضحت صحيفة الاتحاد الإماراتية في موقعها الإلكتروني أن "المحكمة الاتحادية العليا حكمت بالحبس ستة أشهر والإبعاد بعد تنفيذ العقوبة للمتهمين الثلاثة في تشكيل مجموعة لتنظيم حزب الله الإرهابي داخل الدولة".

وأضافت صحيفة "غالف نيوز" أن المحكمة "وجدت الثلاثة مذنبين بسبب تأسيسهم مكتبا لحزب

الله يقوم بأعمال تجارية واقتصادية وسياسية من دون ترخيص". وذكرت الصحيفة أن المدانين الثلاثة هم "سهيل نايف غريب (62 عاما) الذي يحمل الجنسية الكندية وأسعد أمين قانصوه (66 عاما) و شقيقه أحمد إبراهيم قانصوه (30 عاما)".

مصطفى بدر الدين

على صعيد متصل يطغى الغموض على ظروف مقتل مصطفى بدر الدين، القائد العسكري للغز لحزب الله في سوريا، ان لناحية هوية المنفذين او كيفية تنفيذ هذه العملية، في وقت لم يصدر اي توضيح رسمي من الجهات الحزبية المعنية. ويقول مصدر امني سوري ان الانفجار وقع في مستودع قرب مطار دمشق الدولي، حيث كان بدر الدين موجودا، موضحا ان احدا لم يسمع ضجيج طائرة قبل الانفجار، كما ان احدا لم يعرف ان بدر الدين كان موجودا في هذا المكان. ويشكل المطار ومحيطه جزءا من منطقة المعارك في السيدة زينب، التي تسيطر عليها قوات النظام السوري بشكل اساسي الى جانب وجود لمقاتلين ايرانيين ومن حزب الله، فيما تقع اقرب نقطة للفصائل المعارضة على بعد سبعة كيلومترات.

ويعد مقام السيدة زينب مقصدا للسياحة الدينية في سوريا وخصوصا من اتباع الطائفة الشيعية من إيران والعراق ولبنان. وبرر حزب الله تدخله العلني في القتال في سوريا في نيسان/ابريل 2013 بالدفاع عن المقامات الدينية. وبدأ بدر الدين المتحدر من جنوب لبنان، والبالغ من العمر نحو 55 عاما نشاطه السياسي والعسكري في صفوف مجموعة قتالية تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية قبل ان ينضم بعد الاحتلال الاسرائيلي للبنان في العام 1982 الى صفوف حزب الله. وانخرط بدر الدين في تنفيذ هجمات عدة، طاول ابرزها في العام 1983 السفارتين الفرنسية والاميركية في الكويت حيث اعتقلته السلطات هناك.

وفي العامين 1984 و1985، تعرضت طائرتان الاولى في الكويت والثانية تابعة لشركة خطوط جوية اميركية للخطف وتغيير مسارهما. وطالب الخاطفون بالافراج عن المدانين بالاعتداء على السفارات الاجنبية وبينهم بدر الدين الذي تمكن في العام 1990 من الهروب من سجنه خلال الغزو العراقي للكويت. وتتم محاكمة بدر الدين مع اربعة من رفاقه في الحزب غيابيا امام المحكمة الخاصة بلبنان

قرب لاهاي، بعد اتهامه بأنه "المشرف العام على عملية" اغتيال رئيس الوزراء الاسبق رفيق الحريري في بيروت في شباط/فبراير 2005 والتي ادت الى مقتل 22 شخصا اخرين بينهم منفذ الاعتداء.

ورفض حزب الله تسليم المتهمين الخمسة متهما المحكمة باستهدافه وبالانحياز لاسرائيل والولايات المتحدة. وبعد اغتيال زوج شقيقته، القائد السابق عماد مغنية بتفجير سيارة مفخخة في دمشق العام 2008، حل بدر الدين مكان الاخير وكان مسؤولا عن عمليات حزب الله في سوريا التي تشهد نزاعا مستمرا منذ 2011. ويجمع معظم المحللين على ان لمقتل بدر الدين تداعيات محدودة على قدرات حزب الله.

وتقول الباحثة الاولى في مركز كارنيغي للشرق الاوسط مهي يحيى "رغم انه المسؤول الارفع عن العمليات السرية والموكل بوضع الخطط الميدانية، اشك في ان تترك وفاته اثرا على عمليات هذه المنظمة في سوريا". وتضيف "لا تتكئ عمليات حزب الله الى شخص واحد انما تشكل جزءا من حلقة اوسع مرتبطة بالقيادة الايرانية". ويرى الباحث المشارك في المعهد الفرنسي للشرق الادنى نيكولا بوييار ان لمقتل بدر الدين "تاثيرا رمزيا ونفسيا بالدرجة الاولى (...). باعتبار انه قيادي مخضرم واحد ابرز الكوادر العسكرية" في الحزب.

وتقول المحللة المتابعة لشؤون حزب الله كيارا كالا برازي ان "هذا الاغتيال لن يؤثر على الحزب على المستوى العسكري"، لافتة الى ان "شخصا اخر لديه المؤهلات سيحل مكان" بدر الدين. وللمرة الاولى، لم يسارع حزب الله الى اتهام اسرائيل عدوته اللدودة التي غالبا ما يتهمها باغتيال قادته وكوادره. ويوضح بوييار "لم يتهم حزب الله رسميا حتى هذه اللحظة اي طرف. ويمكن لاسرائيل كما للفصائل المعارضة ان تكون منخرطة موضوعيا في هذا الاغتيال".

لكنه يتدارك ان "هذا (الاغتيال) حصل في ضاحية دمشق قرب منطقة المطار الخاضعة لسيطرة النظام. وهناك بالتالي عمل استخباراتي تم قبل ذلك وقد يكون شمل اطرافا سوريين واقليميين عديدين".

ويعتبر الباحث اللبناني ومؤلف كتاب "دولة حزب الله" وضاح شرارة ان "حزب الله محرر للغاية،

فآآهمه اسرآئل بآنفآذ غآرة جوية يضع في ءآرة الشك فاعلية روسيا في حمآية الاجواء السورية". وآضآفة الى ذلك، يرى شرآرة انه "يجب عءم اسآبعاء آآآمال ان يكون هذا الاغآيال نآآجة آآوتر الشءيء بين النظام وروسيا وآيران". وقد اعلن نآب الامين العام لآزب الله الشآخ نعيم قاسم ان نآآآج الآآقآق سآعلن. بآسب فرانس برس.

وقال الشآخ نعيم قاسم آلال الآشآيع "آآها القآء، لقد آآرر لبنان معك وآلقى الإرهآب الآكفيري آسآئر كبيرة، وقد أذهل ذلك العالم وقد حملآ الأمانة ولم آآآغير الآآآاه، وبآآآلك أعطوا ءفعة آءيءة إلى مسيرآنا الآآي تعطي الشهيء آلو الشهيء والقآء آلو القآء لآرآفع الرآآة. نحن أهل الشهآة والنصر". ميءانيا، يقول شرآرة ان هناك نحو آمسة الاف الى سآة الاف مآآآل من الآزب آآناوبون بمعءل الفين. ويضآف ان "ءورهم يقوم على سء آآرات الجيش السوري والآفظاء على الاراضي الآآي آآم اسآعآءآها". وآقول مصادر ان آزب الله قد يكون فقد الف الى الفآي عنصر في سوريا، لكن نيكولا بويآار يقول ان مآاركآه في الآرب "ليست موضع شك، اولا بسبب شعور بالآضامن الطآئفي ثم بسبب الآوف الوجودي من آهءيء جهآادي وآآآا بسبب واقع ان اسرآئل آءآآت بشكل مباشر ضد آزب الله في سوريا".